# الشباب الإفريقي.. والعبودية من جديد!

مشـهدٌ مؤلم.. ذلـك الـذي عرضته فضائيـة ((CNN الأمريكية، لمزاد علني يُباع فيه «الإنسـان» بسـوق «نخاسة»، عن طريق النخّاسـين الجُدد تجّار البشـر.. نعم! فـي القرن الحادي والعشرين يعود بنا هؤلاء إلى القرون الماضية، يعودون بنا إلى هوّة سـحيقة، تُنتهك فيها كرامة الإنسان المعاصر، بل تُنتهك الإنسانية كلها، بأفظع مهانة، وهي التجارة بالبشر.

وكان تقرير شبكة CNN، الذي فضح جريمة بيع المهاجرين في ليبيا، قد نشـر «مشـهد فيديو» قصير، التُقطَ بكاميرا هاتف جوال، يظهر فيه شابان يُعرضَان للبيع في «مزاد علني»، لاقتيادهم للعمل في مزرعـة، أحدهما من نيجيريا يبلغ من العمر عشـرين عاماً، وقد أوضح معدُّ التقرير أنّ الشابَيْن بيعَا بمبلغ (١٢٠٠) دينار ليبي، أي ما يعادل (٤٠٠) دولار لكلٍّ منهما.

على إثر ذلك؛ قرّرت شـبكة CNN إرسـالَ فريقٍ خاصٍّ إلى ليبيا للتأكّد من صحّة الفيديو، ولإجراء مزيدٍ من التحقيقات، وكانت الطامّة الكبرى، ليس فقط في تأكّد الشـبكةً من صحّة الفيديو، لكن في انتشـار مزادات بيع الأفراد، من أجل العمـل في مهنٍ مختلفة، حيث يتجمّع التجار لاختيار الشخص الذي يرغبون في اقتنائه، مقابل مبلغ من المال يختلف من شـابٍ لآخر؛ حسب بنيانه ومؤهّله وقدرته على العمل ومهنته.. وقد حصلت الشـبكة على أدلة وشهادات تؤكّد أنّ «مزادات النخاسة» هذه تتم في ثماني مدن ليبية- على الأقل-.

ولم تكن شـبكة CNN أول وسـيلة إعلامية تتطرق إلى ما حـدث للمهاجرين في ليبيا، ففي أبريـل ٢٠١٧م؛ أوردت صحيفة الجارديان خبر بيع مهاجرين أفارقة في «أسواق الرقيق» في ليبيا، استناداً إلى معلومات من المنظّمة الدولية للهجرة، وهي وكالة تابعة للأمم المتحدة، كذلك أشـارت رويترز في شهر مايو المنصرم إلى أنّ ليبيا صارت مسرحاً لـ«تجارة الرقيق».

ليبيا.. البلد المنكوب، الذي مزّقته الصراعات، سيطرت عليه الميليشيات، وغاب عنه القانون، بل غابت عنه الدولة نفسها!

تلـك الفيديوهات والتقارير، التي وثّقت بيع شـباب إفريقي في ليبيا، وبثّها ونشـرتها كثيرٌ من الفضائيات نقلاً عن ((CNN الأمريكية مؤخّراً.. أعادت علينـا حكايات عبودية القهر القديمة، والمظالم التي كانت تُمارس في حقّ النّاس، وسـرقة البشر للعمل عبيداً في مزارع أوروبا وأمريكا.

وبالرغم من شـعارات العصر الحديث، وحصول الاستقلال، لم تتخلص إفريقيا المسـكينة الفتيـة من ظلم الماضي، فما تزال تتعرّض لأنواع شـتّى من الجرائم والانتهاكات للإنسان، والطبيعة والموارد، والحُقوق والكرامة.

تعرّضـت القارة على مدار تاريخها إلى الاسـتغلال بأبشـع صُوره، لكنه هذه المرّة تخطّى حواجز الثروات والجمادات، ليصيبَ الإنسان نفسه، ونحن في بدايات «الألفية الثالثة»، حيث تُعاد علينا مشاهد عبودية القهر المقيتة، المتمثلة في خطف الإنسان وبيعه.. «وأيُّ إنسـان؟!».. إنهم الشباب، روح الأوطان، ووقودها، وطاقاتها، وثروتها الحقيقية!

شبابٌ هجَرَ وطنه وأهله وأسرته، وباعَ ما يملكه، واستدان هو وأسرته، من أجل المجهول الذي لا يعرف كنهه!.. هجرة إلى أوروبا لا يعلـم مصيره فيها، فإنّ هو نجا من الموت غرقاً فقد يقع في يد عصابات لا ترحم، هجرة يقصدها معتقداً أنّ «جهنم أوروبا» أفضل من «جنّة إفريقيا».. لكنّ النخاسـين الجُدد قطعوا عليه حتى حُلْمه قبل أن يبدأ، فاختطفوه، ثم باعوه..!

«الهجرة غير الشرعية» تعدّ في حدّ ذاتها جريمة، لكننا عندما نتحدّث عنها ننسـى السـبب الرئيس لها، وهو الغرب وسياساته، الغرب الذي ما يزال ينظر للقارة بأرضها وشعوبها على أساس أنها مِلْكٌ وَرِثَه عن أجداده، وأنهم يقدّمون خدمةً لأبنائها بتعليمهم أُسس الحضارة والمدنية؛ مقابل الالتزام التامّ بالاستغلال والانتهاكات!

كذلك لا يغيب عنّا: فشـل الأنظمة السياسـية الإفريقية في توفير حياة كريمة للشـعوب، حيث طال الفسـادُ كلَّ شيء.. حتى التربة والهواء، وأصبح يشـكّل منظومات متكاملة؛ لها دولٌ تحميها وتدافع عنها.

عندما تُنهب ثـروات البلاد، ويذهب خيرهـا إلى دول الغرب المحتل، والذي ما تزال سـطوته تطال كلّ مسـتعمراته السـابقة، عندها.. لا يجد الشـبابُ أمامَهم فرصـاً للحياة الكريمة، أو العمل، أو حتى توفير قوت يومه وقوت أسـرته، هنا يتّخذ أصعبَ قرار، وهو الهجرة إلى المجهول، الهجرة إلى ما لا يعلمه ولا يدرك عواقبه، وهو يعلم يقيناً أنّ فرص نجاته تقترب من الصفر، هذا فضلاً عن الإذلال، أو الاغتصـاب، أو التجويع، أو المهانة التي يتعـرّض لها، وأخيراً.. الخطف على يد عصابات التجارة بالبشر؛ ليباع عبداً مهيناً.

يخرج الشـــباب وَهُم لا يجدون أمامَهم مستقبلاً يشعرون فيه بالأمـــان والحرية، ولا يملكون حتى القدرة على الأحلام، فضلاً عن تحقيقهـــا، عندها يتّخذ قرار الهجرة، ولا يعلم مصيره، حتى إنه إن نجا من الغرق، ومن تجّار البشر، فلا يعلم مصيره في بلدان أوروبا، أو بلاد العمّ ســـام، التي تنظر لدولنا وشـــبابنا بوصفهم سلعاً تُباع وتُشترى وتُستغل..

## خيارات صعبة وخطيرة:

بحســـب التقارير الأخيرة، التي أعلنتها الأمم المتحدة، هناك الكثير مـــن الانتهاكات التي تحدث لهـــؤلاء المهاجرين في مراكز الاحتجاز، منها: العمل القســـري، والاعتداء الجنســـي، والتعذيب الذي قالت الأمم المتحدة إنه منتشـــرٌ على نطاقٍ واســـعٍ في هذه المراكز.

وذكرت المنظّمة الدولية للهجرة: أنّ هناك ما بين (٧٠٠ ألف - إلى مليـــون) مهاجر في ليبيا، لقي أكثر مـــن (٢٠٠) ألف منهم مصرعهم غرقاً في البحر المتوسط.

إنّ جريمة «الهجرة غير الشرعية» هي مسؤولية أنظمة محلية وعالمية، جعلت الدول والشعوب والشباب كلأً مستباحاً.

وحقيقة الأمر: أنّ القضية لا تحوي تلك المشـــاهد الصادمة فقط، فالصورة أكبر من ذلك، فإن كانت هذه نخاسةً ظاهرة، فهناك النخاســـة المستترة؛ حيث تُباع الأوطان والشعوب بأكملها، بأبخس الأثمان حيناً، وبلا ثمن أحياناً كثيرة.

فهناك الاســـتغلال الجشع لإفريقيا، دولاً وشعوباً، لخيراتها.. لثرواتها.. لشبابها، من قِبَل الدول الغربية ووكلائهم في تلك الدول، فإفريقيا من أغنى القـــارات بالرغم من الفقر البادي للعيان، فهي تملك أعظم الثروات الزراعية، والموارد المادية، والثروات المعدنية والنفطية، والمعادن النفيســـة، والعناصر النادرة، وفوق ذلك موارد بشرية فوق الحصر.

لكن الغرب لا ينظر إلى إفريقيا إلا بوصفها منجماً أو مغارة، ينهبها ليُشـــبعَ نهمَه وطمعَه، وظلّ على ذلك طوال فترات احتلاله لدول القارة، وعندما حمـــل عصاه ورحَل لم يترك الأمر لأصحاب الحـــق، بل وكّل عنه مَن يحمل إليه خيرات بلاده، فما تزال خيرات إفريقيـــا تصل إلـــى خزائن دول الاحتلال الغربـــي، وما بقي يُوزع على المحتلين الجُدد الذين أتـــوا إلى القارة تحت مظلة «التّعاون» و«المساعدة» و«الاستثمار»؛ حتى يُجهزوا على البقية الباقية.

ومـــا بقي من فتات؛ فهـــو يصل إلى جيـــوب الوكيل المحلّي الجشـــع، الذي قدّم مصالحه ومصالـــح عُصبته الخاصّة والضيّقة على مصالح أمّته وشـــعبه، فصارت المحصلـــة أنّ ثروات إفريقيا بقيت لقمةً سائغةً- كما كانت- للمحتل السابق.

وما ذكرناه هنا عرَضاً؛ سيجد القارئ تفصيلاً لصورٍ منه في هذا العدد، من خلال مقالَيْن، هما: «النُّفايات الخطرة في إفريقيا: المخاطر وتحدّيات الحماية البيئية»، ومقال: «إفريقيا: بين إشكالية استنزاف الموارد وتحدي التنمية».

## ردود أفعال.. ولكن:

لا يفوتنـــا أن ننـــوّه إلـــى ردود الأفعال العالميـــة والإقليمية الغاضبـــة من هذه الظاهرة المقيتة، حيث خرج النّاسُ للتظاهر في دولٍ عدّة، كفرنسا وغيرها.

وقد تداعت المنظمات الدولية والإقليمية- كالعادة- للتنديد بعـــد وقوع الجرائـــم، مثل منظمة الهجرة الدوليـــة، وعبّرت الأمم المتحدة عن «صدمتها».

كما أصدر رئيس مفوضية الاتحاد الإفريقي «موســـى محمد» بياناً؛ نـــدّد فيه بعملية طرح المهاجرين في مزادات علنيـــة، ووصف الأمر بـ«الحقير»، كما طالب الرئيس الغيني ورئيـــس الاتحـــاد الإفريقي «ألفـــا كونـــدي» بـ«ملاحقات قضائية».

وتمّت مناقشـــة الموضوع على جدول أعمال القمّة الإفريقية الأوروبية، التي انعقدت في كوت ديفوار يومي ٢٩ و٣٠ من نوفمبر، بناءً على طلب النيجر.

كما عبّـــر الكثيرون من مشـــاهير الأدب والفـــنّ والرياضة الأفارقة عن «استيائهم».

وعلى صعيدٍ آخـــر؛ صرّحت حكومة الوفـــاق الليبية بإجراء «تحقيق» في انتشارٍ هذه التجارة..

لكن هذا يبقى صوتٌ بلا فعل، ومُســـكّن للألم، وليس علاجاً يداوي ويمنع تفاقم الظاهرة.

أمـــام هذه الجرائم التي لا تنتهي، يُقضى على أمل الشـــباب بإفريقيا في بناء مســـتقبلٍ مشرق، إذ لا يجد أمامه غير المجازفة بالتفكير في الهجرة غير الشـــرعية، حتى إن كانت ســـتنتهي بهم إلى الضياع.. يتمّ اســـتغلاله، أو يُباع ويُشـــترى، أو يموت غرقاً أو جوعـــاً، فالمهم عنده فقط الهروب من الظلم أو الحرمان المحيط به في وطنه!

فلماذا تفرّط إفريقيا في رأس مالها (الشباب)؟!

ومن المسؤول عن وضع الشباب الإفريقي أمام هذه الخيارات الصعبة؟! ■